

## (٢) المراسل الحسيني

هل تطيّر السفير ؟ )

تكامّل الإنسان لا يتوقف على خرق الطّباع ولا يتحقّق بالكرامات، بل يتحقّق بالمعاناة والمجاهدات ثم يأتي دور الكرامة كأحد نتائج المجاهدة بالتكريم ، وإلا فإن الاستقامة خير من (الكرامة) وبعضهم يردد : (استقامة خير من ألف كرامة). المجاهدة حقاً متعبة جهاد أكبر (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) تعب المجاهدة لا يقتصر على عناء الطاعة إنما تجاوز الاضطرابات المعنوية والنفسية، بينها التطيّر خوفاً على الترقّي وحذر تفويت المكرمات.

نتوقف على طريق سفير النهضة الحسينية مسلم بن عقيل، البطل القريب الحبيب النسيب للإمام الحسين ع الذي وصفه لأهل الكوفة (أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي) .. كيف يتطيّر؟! قبل الجواب المباشر نؤكد أن النظرة التاريخية للوفائع الساخنة غير النظرة الكلامية أو الروحانية الباردة المبرمجة للتاريخ بحسب الخلفية الأيديولوجية والعقدية. لقد عبرت النهضة الحسينية منعطفات مكانية وزمانية صعبة جداً، لو حسبت بحساب مادي ربما لم تنطلق أساساً، من بينها صعوبة المراسلة وخطورتها، هذه وحدها مشكلة لا تبعث على التفاؤل. فالتشاؤم بمقدار أحياناً من رشحات الحذر بل الشفافية. قبل التوجه نحو الكوفة لنتوقف عند محطة جانبية لكنها خطيرة.

@مراسلة البصرة @

البصرة كانت تحت ولاية ابن زياد قبل أن يتركها لأخيه عثمان ويتوجه نحو الكوفة بأمر يزيد حسب رأي مستشاره سرجون لمواجهة مخطط مسلم.

تلقي وجهاء البصرة رسائل من الإمام الحسين ع يطلب منهم (إحياء معالم الحق وإماتة البدع) لاحظوا حذر الإمام من التصريح بالمطلوب من الرسالة !!

يذكر مؤلف الأخبار الطوال : أنهم جميعاً كتموا الرسالة إلا (المنذر بن الجارود) .. بينما يلفت النظر تجاه الرسالة موقفان :

١- موقف يزيد بن مسعود النهشلي :

كتب هذا إلى الحسين أنه فهم المراد ومستعد للفوز بالمنصرة وأنه أعد قبيلة تميم وبني سعد لذلك، داعياً الحسين أن يأتي إلى العراق.

فوصل كتابه مع برید آخر .

ثم تجهز بن مسعود هذا للخروج من البصرة فبلغه مقتل الحسين ع .

٢- موقف المنذر بن الجارود العبدی :

موقف غریب بل خسیس فهو والد بَحرية زوجة ابن زیاد، وقد أفشى سر الرسالة الحسینیة لابن زیاد فتم اعتقال حامل الرسالة وهو سلیمان أبو رَزين وتم صلبه .

فهاهو مراسل البصرة قتل كما قتل ابن مسهر وابن یقطر فی الكوفة .

یذكر بعض المؤرخین بینهم صاحب الملهوف مبرر المنذر بن الجارود لماذا أفشى رسالة الحسین لابن زیاد ؟ أنه خاف أن تكون مزورة دسیسة من ابن زیاد !!

التطیّر علی طریق الكوفة

كما ذكرنا سابقاً تداول القدماء حادثة التطیّر بنظرة عادیة بینما تحولت لدى المتأخرین إلى نظرة كلامیة كأنها عقیدیة حساسة فعارضها البعض بشدة .

نص المراسلة المحرجة

لنقتبس هذا النص من تاریخ الطبری عن مقتل أبي مخنف كما أورده الشیخ المفید :

كتب مسلم بن عقیل مع قیس بن مسهر الصیداوی إلى الحسین وذلك بالمضیق من بطن الخبیت . :

" اما بعد فانی اقبلت من المدینة معی دلیلان لی فجارا عن الطریق وضلا واشتد علینا العطش فلم یلبثا أن ماتا واقبلنا حتی انتهینا إلى الماء فلم ننح الا بحشاشة أنفسنا وذلك الماء بمكان یدعی المضیق من بطن الخبیت وقد تطیرت من وجهی هذا فان رأیت

أعفیتنی منه وبعثت غیری والسلام".

فكتب الیه الحسین:

"اما بعد فقد خشیت الا یكون حملك علی الكتابة إلی فی الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له الا الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك له، والسلام علیك".

فقال مسلم لما قرأ الكتاب: هذا ما لست أتخوفه علی نفسي.

قال أبوهجر : كما أشرنا مجرد الإشكال علی التطیّر لا یكفی لنفی هذه المراسلة وذلك لعدة عوامل منها :

-أولاً : التطیر المذموم الوارد فی الأحادیث المرویة، یقصد به تطیر أهل الجاهلیة الذین یعتقدون بالتطیر مع ترتیب الأثر علیه والتعامل بموجبه، أما مجرد التطیر من خلال علامات تشعر بالخطر والشر فهذا لا یبلغ إلى درجة التطیر الجاهلی .

-ثانیاً : إن التطیر أو الطیّرة مما لا یؤاخذ علیه المسلم لأنه لیس من الأفعال ولا من المشاعر الاختیاریة وذلك بموجب حدیث الرفع النبوی الشهیر

" رفع عن أمتی : ما لا یعلمون.. والطيّرة " .

-ثالثاً : إن مسلم بن عقيل من الشخصيات التي تتكامل بالاستفادة من الإمام المعصوم، تتعلم منه وتتربى بتوجيهاته، ولا إساءة إلى مسلم أن يعرض عليه التشاؤم في موقف صعب كهذا ثم يتلقى الإرشاد من إمامه فيستأنف العزم على مواجهة المخاطر بشجاعة أفضل وإيمان أكمل .

-رابعاً : لآمانع أن يرشد الحسين ع أخاه وثقته بشدة عند المنعطف الصعب ليحرضه ويشد عزمه، ومن الطبيعي أن فضل مسلم لا يغييه عن هذه الرعاية الحسينية بل يتشرف بهكذا تربية وتزكية فإن المتكامل يأخذ من الإنسان الكامل.

- خامساً : أن مثل مسلم بن عقيل البطل الثقة ليس ممن يتطير خوفاً على نفسه، وحيث أننا لانفي النص بناء على قصد التنزيه العرفاني النوراني المفارق للنفس البشرية فإن الذي يليق ببطولة مسلم أنه يتطير خوفاً على المهمة الصعبة وهي (السفارة الحسينية)، خشية أن لا يؤدي المهمة الخطيرة على أكمل وجه فصدق مع نفسه وإمامه طالباً الإعفاء، إلا أنه واصل المسير بعد تلقي جواب الحسين ع بهمة أقوى وهذا ما صرح هو به بعد تلقي الجواب قائلاً :

" هذا ما لست أتخو"فه على نفسي "

وكيف يخاف على نفسه مثل مسلم .

- سادساً : من المفارقة أن من يعترض على خبر (التطير) وهو في نص أهم، يتقبل (التفاؤل) ل مسلم من خبر ليس بتلك الأهمية :

لما ارتحل من ذلك الماء أشرف على رجل يرمي طيباً فصرعه فصره وتفال بقتل عدوه "

حسب خبر الطبري و إرشاد المفيد.

وهذا انتفاء لامبرر له بل هو موقف كلامي عرفاني لا بحث تاريخي اجتماعي.

هكذا لم نجد أي داع للتشدد تجاه إشكالية التطير عند مسلم .

@مناقشة من ناحية أخرى@

تبقى مناقشة مشكلة طلب مسلم الإعفاء من السفارة بغير التطير ومن ذلك ماجاء في موسوعة محمد الري شهري وغيره من المستحدثين:

إشكال أن خروج مسلم كان في ١٥ رمضان سنة ٦٠ هـ ووصل الكوفة في ٥ شوال على مسافة ١٤٠٠ كلم تقريباً بين مكة والكوفة، فيكون قد قطع حوالي ٧٠ كلم كل يوم . فرسالة مسلم مع انتظار جواب الحسين تقتضي التأخير لأكثر من مدة الطريق الـ ٢٠ يوماً .

قال أبوهجر : جواب الإشكال : أن المدة غير محددة بدقة بل بالتقريب، فالتوقيت يتوقف على سرعة المسافر والبريد الذي قد يختصر الأوقات إلى ثلثي المدة مع السرعة .

أما استبعاد موت الدليلين عطشاً أو مرضاً مع اعتياد مشقات الطريق فليس في الموت استبعاد.

نعم علينا عدم المكابرة تجاه خبر موت (الدليلين) معاً بالذات فهذا لا يخلو من استغراب، ولو لم يرد خبر موتهما في نص رسالة مسلم، لأمكننا مناقشة ذلك وترميمه بحمله على المبالغة مثلاً واستنتاج موت

شخص واحد فقط، لذلك نجد هذا الاستغراب أهم إشكال على هذه المراسلة، فهو أهم من إشكالات الوقت والجغرافيا والتطير الذي لانستبعده ولانستغربه ولايخل بتوثيق مسلم .  
عموماً : نحن لانقطع بالحادثة فقد تكون مبالغة وأن مسلم لم يطلب الاستقالة من السفارة وإنما توقف لطلب المشورة من الإمام .

إنما قصدنا هنا الإشارة إلى نقطتين :

١- عدم قراءة الحادثة التاريخية بنظرة أجنبية عنها كالعرفانية والكلامية، فنحن عند إشكال منهجي بتحويل القراءة التاريخية إلى عقائدية .

٢- ملاحظة صعوبة ظروف النهضة (الزمكانية) وتأثير بطء المراسلات على مسيرة النهضة ونتائجها عند تأخر الجواب أو الأنصار وفوات الأوان في بعض المواقف الحاسمة مما لتأخر هذه المراسلات من أثر في تغيير مسار الأحداث ما يؤكد خضوعها للمسار المادي الزماني المكاني الطبيعي وأن تأثير الخوارق طفيف معنوي محدود ربما لحكمة الابتلاء و إثبات إرادة إنسانية تصلح كأسوة وقدوة للبشرية .